الطاعة في الدين

لفضيلة الخطيب الشيخ سليمان الوشباري

* * *

قال الله تعالى: (يا ايها الذين آمنو اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) .

قضت حكمة الله تبارك وتعالى ان تشمل عنايته ورعايته الانسان بان خصه بعقل وتفكير ، ووجهه الى طريقة يسعد بها ويحضى بفوائدها ليصل الى مرتبة السعادة التي ينشدها العقلاء في كل آن ، وجعل نظماً وقوانين تعصم كل فرد عن الزيغ والانحراف ، وتحذر من الفوضويه المقيته والاستهتار المشين ، ولما كانت التوليدات لابد من وقوعها وحدوثها ، كان الواجب على الانسان ان يقف امامها موقف الصامد الرزين لتتجلى حقائقها وتظهر كوامنها وتعرف الدوافع التي ساعدت على ظهورها ، وهذه لاتعرف الا من قبل الرجال الذين خصهم الله من بين عباده بالمواهب لذا تراه جل وعلا وضح ذلك بقوله [اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم] وهنا يتجلى الاعجاز في القران ظاهراً وجلياً في إفراده الامر بطاعة الرسول ، وان كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في (البيان) وقطعاً لتوهم من توهم انه لايجب لزوم ماليس في القران من الاوامر ونظيره ، فقد جاء في غير مكان من الكتاب العزيز [من يطع الرسول فقد اطاع الله] وفي مكان آخر [ماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا] وفي كثير من الأمكنة كقوله :

[وما ينطق عن الهوى] وقد اجمع المفسرون على ان طاعة الرسول في السنن والاحكام وامتثال أوامره امتثال لأوامر الله .

اما المعرفه بأنه رسول الله فتلك معرفة برسالته وواجبة في حال حياته وبعد وفاته .

واذا لاحظنا مايفرضه علينا شرع الانسانية ، ومايوجبه العقل الصحيح ، وجدنا ان الدين الذي شرع لنا كثيراً من نواحي الفضيلة ، وبصرنا وارشدنا ، راعى كثيراً من الاسباب التي تهيمن على صيانة نفوسنا وحفظها من الطواري ، بالاقتداء الذي نعمله وهو طاعة الله الذي امرنا بأن نسير على نهج الخير ونلوي عن طريق الشر ، والطاعة دليل يقودنا الى السبل الواضحه التي تسعد كل انسان فهم الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فزاغ عنه .

وقد جاء المفسرون لقوله تعالى [واولي الأمر منكم] بوجهين ١ ـ انهم الامراء .

فقد ذكر ذلك ابو هريره وابن عباس في روايتين معتوتين وذكر ذلك ميمون وابن مهران والسدي من رجال القرن الثاني واختاره الجبائي والبلخي والطبري وهؤلاء اعلام في القرن الثالث . اما الوجه الثاني ، فقد قيل انهم العلماء ، وقد جاء ذلك عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الاخرى ، وعن مجاهد والحسن وعطا وجماعة غيرهم من الثقاة . وقال بعضهم معللا ... لانهم الذين يرجع الناس اليهم في الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاة . أما فريق آخر فقد توسع في فهم الآية الكريمة فقال: ان اولي الامر هم الائمة من آل محمد [ع] وقد اوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعة رسوله بالنظر الى انهم حملوا شرائعه واحتفظوا بسننه وحرصوا على تطبيقها .

اما قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول لايخفى مافي ذلك من وجوب الركون عند الاختلاف ، الى قول الله الذي تضمنه الكتاب والرسول الذي ضمنته السنة ، وقد اكد ذلك جماعة من المفسرين منهم قتادة ومجاهد والسدي وقد علق الله هذا القول على الايمان باليوم الآخر لقوله تعالى

تشرين الاول ١٩٢١م وكان وكيلا لهذه الوزارة طوال هذه المدة .

٥ ـ فاجأت الوزارة ازمة مالية شديدة اضطرتها الى الاستقالة في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ م . وكان الملك فيصل شديد الرغبة في تبديلها بعد ان انجزت الانتخابات المقتضاة للمجلس التأسيسي على النحو الذي ذكرناه .

عبد الرزاق الحسني